أفعال الكلام... من الجملة الإنشائية إلى النص الأدبي.

يحي سعدوني (*)

ملخّص:

فتحت التداولية مجالا هاما في تحليل الخطاب، إذ لم يعد فهم الخطاب يعتمد على بنيته اللغوية وتراكيبه السياقية فحسب بل أصبح للظروف الاجتماعية والنفسية والعرفية ،للمرسل والمتلقي معا، دور هام في انتاج الدلالة والكشف عن المعاني .ويعد تحليل الخطاب على مستوى أفعال الكلام تجاوزا نوعي اللبنى الداخلية للنص إلى بنياته الخارجية، التي تضمن النجاح للفعل الاستلزامي للملفوظ كالسلوكات والأحكام والممارسات والوعود .

لقد أسس" جون لانشو أوستين "نظرية أفعال الكلام على دراسة الأقوال الإنشائية البسيطة، التي يتم وفقها انجاز أفعال أوسلوكات محدّدة وقابلة للاختبار،فهل يمكن لنا أن نطبق هذه النظرية على النص الأدبي؟وهل يمكن لهذا النص أن يأخذ طابع الجملة الانشائية البسيطة التي يتم من خلالها انجاز فعل معيّن؟ وإذا كان ذلك ممكنا، فما هي الأدوات الإجرائية التي ينبغي الاعتماد عليها في تحليلنا؟

Abstract:

Pragmatic analysis has opened an important stage in the field of discourse analysis. Thus, the comprehension of the discourse is not only based on its used vocabulary, its language structures that surround it as well as its context, but also on its social, psychological and conventional situations of the speaker and the receptor of the discourse itself. Discourse analysis at the level of speech acts enormously oversteps internal structures of the text to external ones which guide perlocutionary act of the statement, and lead to its success; such as behaviours, decisions, exhibitions, or promises.

John Langshaw Austin founded the theory of speech acts upon the study of performative short statements that accomplish very determined and easy-checked actions. Can we apply this theory on literary text? Will this text be able to take the aspect of a performative statement that can fulfill a very precised fact ? If this becomes possible; what are, then, the necessary methods for this analysis ?

* استاذ مساعد أ ، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة أكلي امحند أولحاج –البويرة.

مقدمة:

لقد فتحت التداولية la pragmatique جانبا هاما في تحليل الخطاب، إذ لم يعد النص يبوح عن أسراره من ذات لغته وبنية سياقاته فحسب، بل أصبح للظروف الاجتماعية والعرفية والنفسية، للباث وللمتلقي معا، دور هام في إنتاج الدلالة، التي تتحدد وفق تلك العلاقات التي تربطه – أي النص - بالمحيط الخارجي وتلك التي تربط من جهة ثانية بين مستعمليها، وتظهر هذه العلاقات بشكل واضح عند دراسة مستوى أفعال الكلام، حيث نتعدى في حديثنا عناصر اللغة إلى ما هو أبعد منها كالمقاصد والنوايا والوعود والأحكام وغير ذلك من السلوكات والطقوس التي تتصل اتصالا وثيقا بالخطاب والتي تحدد بالفعل ما ينبغي أن يُفعل بالمنطوق وكذا الأثر الذي يتركه هذا المنطوق في المتلقي. وإذا كانت أفعال الكلام في بادئ الأمر قد ركزت في دراستها على جمـــل إنشائية بسيطة وصريحة، فإنه ثمة إمكانات وأدوات إجرائية تمكننا من دراســـة نص أدبي وفـق هذه النظرية، فيكون النص في تلك الحال كلا متماسكا قادرا على إنجاز فعل معين.

I ـ مفهوم الفعل الكلامي :

لقد تعددت وظائف اللغة مثلما تنبه إلى ذلك رومان ياكبسون Roman Jakobson في الستينيات من القرن الماضي حيث حددها بما يلي: الوظيفة التبليغية، الوظيفة التعبيرية، الوظيفة الخطابية، الوظيفة التوصيلية، الوظيفة التحقيقية، والوظيفة الشعرية الجمالية.

لكن في بعض الأحيان " يحدث لنا أن نتكلم من أجل الكلام فقط، دون هدف محدد... فهدفنا الأساسي لا يتمثل في توصيل المعلومات إلى الآخر، ولا يتمثل في الكلام في معتقداتنا أو احتياجاتنا، وإنما يتعلق الأمر بحسن المجاورة فنتكلم عن الأحوال الجوية مثلا أو عن ازدحام حركة المرور أو غير ذلك من الأمور... ويحدث أحيانا أن نتكلم لكسر الصمت السائد (أو السكوت) كالذي يحدث في قاعة الانتظار عند الطبيب، أو في الحافلة أو في القطار... حيث هدف الكلام ربط الصلة بين الأشخاص، أو إعادة ربطها في حالة انقطاعها بعد وجودها "(1). وخارج هذه الوضعيات فان كلامنا يكون مقصودا وهادفا، كإشعار الآخر بما نحس به أو نفكر فيه أو محاولة إبلاغه بشيء معين أو كذلك الحصول على شيء من طرف المخاطب أو التأثير فيه. ففي هذه الحالات نتكلم عن وجود الفعل الكلامي " الذي يعدّ انجازا لقصد تواصلي "(2). فالكلام هنا يتبعه إنجاز فعل معين - والأفعال

متنوعة - منها ما هو مادي: (غلق الباب، إعطاء شيء، الخروج من القاعة، الذهاب إلى مكان معين ...) ومنها ما هو معنوي أي كامن في النفس: (التشجيع، الإسعاد، التحذير، التوبيخ، استمالة المخاطب وجذب انتباهه ...).

إن تأسيس نظرية أفعال الكلام كانت ضمن حقل التداولية، حيث اتضحت معالمها وتبيّنت أدواتها الإجرائية، بداية مع " جون لانشو أوستين John Langshaw Austin"سنة 1962 ثم بعد ذلك تلميذه "جون سيرل John Searl "من خلال أبحاثه الممتدة من 1969 إلى 1979. فمن منظور هذه النظرية " لا تكون اللغة مجرد أداة للتواصل أو التعبير عن الفكر فحسب وإنما أداة لتغيير العالم وصناعة أحداثه والتأثير فيه "(3).

1 ـ الفعل الكلامي و التحليل التداولي :

لقد استند أوستين وسيرل إلى فرضية تنص على أنه " يكون معنى الكلمة وفقا لها، هو استخدامها، وأن ما هو براجماتي Pragmatique إذن هو الذي يحدد المعنى الحقيقي للكلمات والوحدات اللغوية الأخرى آخر الأمر. فالكلام تبعا لذلك يمكن أن يوصف بأنه عمل أو نشاط أو فعل"(4). أي أن معنى الكلمة المتلفظ بها غير كامن في ذات الكلمة فحسب بل يكمن في غرض استخدامها وفي الهدف منها حين وصولها إلى المتلقي. " ونتحدث عن الفعل الكلامي عندما يكون المتكلم راغبا في التأثير في المتلقي... أي نشاطا موجها إلى هدف"(5).

وعلى هذا يمكن لمنطوق ما أن يكسب معاني مختلفة في مواقف مغايرة، مثل:(علي يأتي اليوم). فيمكن أن نفهم بأن الهدف من هذا الكلام هو: إبلاغ بالخبر، أو تحذير، أو تهديد، أو غير ذلك من الأغراض التي يشترك في تحديدها كل من المتكلم والمتلقي على السواء،" فالمتلقي يهتدي إلى معرفة ما ينبغي أن يعدّ المنطوق"(6). أي ماذا يريد المتكلم بالضبط عند تلفظه لتلك الكلمات ؟ يقول أوستين في هذا المقام: " حين نستعمل اللغة لا نقوم بتمثيل العالم أو تقرير أحواله بعينها بل ننجز أفعالا "(7). إذ لا يجوز أن تؤخذ اللغة على ظاهرها ومعاييرها وإنما على أبعادها الميتافيزيقية وخلفياتها في الواقع التجريبي للفرد والجماعة. ولكون اللغة ظاهرة اجتماعية فإن الأفعال الكلامية عرفية كذلك " أي تنجز داخل الجماعة اللغوية وفق قواعد قد تعلّمها كل شريك لغوي... تعلما تاما بدرجة أكثر أو أقل"(8).

لقد أدخل أوستين مفهوم القصدية (Intentionnalité) في فهم كلام المتكلم وفي تحليل العبارات اللغوية... وتتجلى مقولة القصدية بالخصوص في الربط بين

التراكيب اللغوية ومراعاة غرض المتكلم والمقصد العام من الخطاب في إطار مفاهيمي مستوف للأبعاد التداولية للظاهرة اللغوية(9). لهذا فإن الفعل الكلامي يتيح الفرصة للمتكلم في التصرف في كلامه وتراكيبه وأغراضه" إذ لا يربط حتما بتعيين هوية منطوق ما بوصفه فعلا لغويا محددا "(10).

إذن هناك تمييز بين قصد الفعل الكلامي المستعمل بصورة عرفية من طرف المتكلم والمتفق عليه بين شركاء الاتصال بصورة متبادلة وبإخلاص، وبين القصد الحقيقي لهذا الفعل من طرف المرسل.

المنطوق (أنصحك بشراء ذلك التلفاز) هو نصيحة، وهي شيء جميل عرفيا، لكنها قد تكون في هذا المنطوق بمثابة نصيحة أريد بها شرا بدلا من خير، " فالعرفية شرط لفهم المتكلم ومن جهة أخرى تتيح أيضا الخداع والكذب والحيلة"(11).

2 ـ أقسام الفعل الكلامي :

يبين أوستين أنه لا ينبغي للوصف اللغوي أن يقوم على أساس ظاهر الجمل فقط، بل يجب أن يثبت أنه بمنطوق كل جملة مفردة تنجز في الوقت ذاته أحداثا جزئية مختلفة أو أفعالا مختلفة تتمثل فيما يلي(12):

1 ـ الفعل القولي (locutionnaires) أي منطوق الجملة بشكل عام.

2 ـ الفعل الإنجازي (Illocutionnaires) وهو ما ينبغي أن يفعل بالمنطوق، فهو إذن يحدد الهدف الحقيقي لهذا المنطوق.

3 ـ الفعل الإستلزامي (Perlocutionnaires) وهو الذي يحدد أثر المنطوق اللغوي على السامع أي ما يحدد لديه متجاوزا ما هو عرفي(كالسعادة، الغضب...). عندما يقول الأب لابنه الصغير(النار خطيرة!)، يكون أولا قد أنجز فعلا قوليا (منطوقا)، وفعلا إنجازيا عندما نطق تحذيرا، وحين يبتعد الطفل عن النار فإن ذلك هو النتيجة أو أثر المنطوق نفسه، وهو الفعل الإستلزامي.

II ـ الأدوات الإجرائية لنظرية الفعل الكلامي :

1 ـ مؤشرات الإنجاز :

قد يستعمل المتكلم منطوقات مختلفة للتعبير عن نفس النمط الإنجازي للفعل اللغوي مثل: (أعدك بأن آتي غدا سآتي غدا بالتأكيد، إلى الغد إذن ...)؛ هي منطوقات مختلفة لكنها تعبر عن نفس النمط (نمط الوعد)." فالفعل اللغوي المنفذ بشكل ملموس، أي الفعل الذي ينجزه شخص معين في موقف محدد تجاه شخص آخر معين، يفهم ويوصف على أنه تحقيق لنمط معين من الفعل الكلامي وهو النمط الإنجازي "(13) .

" وتوجد سلسلة كاملة من الوسائل اللغوية أو النحوية المستعملة عرفيا التي ـ وإن لم تكن واضحة دائما ـ تستخدم في الإشارة إلى النمط المحدد لفعل لغوي وهي ما تسمى مؤشرات الإنجاز وتتمثل فيما يلي (14):

1 ـ الصيغة الأدائية صراحة.

2 ـ نمط الجملة (استفهامية، طلبيه، إخبارية...).

3 ـ نموذج الجملة (خطة بنائها، الصيغة، الزمن، العدد، الشخص...).

4 ـ أدوات التلوين النغمي مثل (لكن، بلى، مجرد، فقط، حقا...).

5 ـ المضمون القضوي الذي يمكن أن يؤشر إلى دور إنجازي محدد مستقلا عن السياق.

مثل: (سوف أعود غدا). نمط الجملة إعلام وإخبار.

لكن هل هي وعد أم تهديد ؟ هذا ينتج عن المضمون القضوي مرتبطا بالسياق. كما تجدر الإشارة إلى عنصرين مهمين هما:

- علاقة الأدوار بين المتكلم والمخاطب، ومعنى القضية بالنظر إلى هذه العلاقة.
- السمات التطريزية (الفومقطعية): وهي التنغيم، والنبر، والإيقاع...التي تخص باللغة المنطوقة فقط.

وتقوم هذه المؤشرات اللغوية في الغالب علاقات غلبة محكمة، لكن توجد من بينها من هي أقوي في اتخاذ نمط الفعل الكلامي من غيرها وتقوم في الغالب علاقات غلبة محكمة(15). إذا نطق بالملفوظ (ألا تستطيع أن تغلق الباب ؟) فإن الأداتين (ألا) و(أن) تكسبان خاصية الطلب فهما يغلبان على نمط الجملة المتمثل في الاستفهام.

يرى سوكه لاند أن الغلبة للأدوات والسمات التطريزية والمحتوى القضوي، فهي أقوى من الصيغة الأدائية بشكل واضح ومن نمط الجملة ونموذجها،وغلبة المؤشرات الأولى تظهر في حال مطابقتها للنمط الإنجازي الحقيقي لمنطوق ما، وفي حالات كثيرة لا يحسم أي إنجاز محدد قد تم بوجه عام إلا بناء على معلومات سياقية. وحين يقول مدرس لطالب تغيب منذ مدة (انقطعت أخبارك عنا منذ مدة) فالمنطوق هنا يشير إلى تنبيه أكثر مما يشير إلى تقرير. وتكون إذ ذاك مؤشرات السياق في آخر الأمر تغلب على المؤشرات اللغوية (16).

2 ـ الأقوال الإنشائية :

لقد أسس أوستين نظرية أفعال الكلام معارضة للفكرة التي شاعت قديما وهي أن وظيفة الكلام الأولى هي تمثيل الواقع فقط وأن الملفوظات الإثباتية تكون دائما إما صادقة واما كاذبة، حيث تحدث بالعكس عن وظيفة الكلام التي تهدف إلى التأثير على هذا العالم والسماح للتلفظ بالإنجاز. ولهذا فإن أطروحة أوستين في مرحلتها الأولى ركزت على التفريق بين النوعين الرئيسين للإثباتات (Affirmations) وهما (17):

1 ـ التي تمثل العالم Qui décrivent le monde :

مثل: (الكراس فوق الطاولة) أقوال تقريرية Constatifs يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، فإن كان الكراس فوق الطاولة فهي صادقة وإن لم يكن فهي كاذبة.

2 ـ التي تنجز أفعالا Qui accomplissent des actions :

مثل: (أعدك بالذهاب إلى الجامعة غدا). يقول أوستين: " أي قول يجب إعطاؤه لقول من هذا النوع ؟ أقترح أن أسميه جملة إنشائية أو قولا إنشائيا Enoncé performatif "(18).هذه الأقوال لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب وإنما وحسب أوستين يمكن الحكم عليها بالعبارتين (الاشتغال الحسن

Heureux ، أو بالحظ السيئ Malheureux) "واختار أوستين في دراسته أفعالا بصيغة المتكلم المفرد في زمن الحاضر المبني للمعلوم "(19).

إن القول(أعدك ب..) لا يتمثل فقط في التلفظ بهذه الكلمات بل هو فعل داخلي وروحي. لهذا يقول أوستين: " هذه الكلمات يجب أن يتلفظ بها بجدية وبكيفية تجعل المتلفظ بها يُحمل محمل الجد ... هذه الأقوال لا يجب أن يظهر المتكلم بمظهر المازح أو بمظهر من يكتب قصيدة... وكثيرا ما يحسّ الإنسان بأن جدية الكلمات مأتاها كونها يتلفظ بها فقط كمظهر خارجي ومرئي لفعل داخلي أو روحي... منه يظهر أن القول الخارجي وصف صادق أو كاذب لحدث داخلي"(20).

لقد حاول أوستين أن يحيط بجميع أنواع الأقوال الإنشائية وربطها بنظريته، لكنه أدرك أن وجود واستعمال الأقوال الإنشائية الصريحة لا يزيل الحواجز كلها، ويشرح (21):

1- من الواضح أن القول الإنشائي لا يحتفظ بطابع اللبس في أحيان كثيرة...يجب علينا أن ننظر عرضا في الحالات التي يمكن أن نتساءل بصددها ما إذا كان الأمر يتعلق بقول إنشائي أم لا ؟

2- توجد في الظاهر حالات واضحة حيث تبدو نفس الصيغة قولا إنشائيا تارة و قولا وصفيا تارة أخرى أي ثمة ازدواجية.

3 ـ اختبار القول الإنشائي :

تعدد استعمال الأقوال الإنشائية بمعنى أو آخر يطرح تساؤلا: " هل هذا القول الإنشائي ينجز عملا معينا أم لا ؟ للإجابة عن هذا السؤال حدد أوستين اختبارات تسمح بالإقرار في ذلك، وهي كالتالي(22) :

ـ **الاختبار الأول:** أن نتساءل ما إذا كان ثمة معنى يقال: (هل يقوم به في الواقع ؟)

عند الملفوظ (أتمنى لكم مقاما سعيدا)، نتساءل: هل سعيد بالاستقبال حقيقة ؟

ـ **الاختبار الثاني:**أن نتساءل ما إذا كان شخص بإمكانه إنجاز هذا الفعل دون أن يتلفظ بأي كلمة.

ـ **الاختبار الثالث:** أن نتساءل ما إذا كان ممكنا إدراج ظروف أمام الفعل الذي يفترض أنه إنشائي.

ـ **الاختبار الرابع:** أن نتساءل ما إذا كان ما يقوله شخص خاطئا تماما مثلما يحصل أحيانا عند القول (أنا آسف) أو يكون فقط بالمخادعة مثل القول (أعتذر) أحيانا.

4 ـ أنواع الفعل الكلامي عند أوستين :

يميّز أوستين خمسة أنواع من أفعال الكلام انطلاقا من الأقوال الإنشائية الأكثر عمومية (23):

1 ـ الأقوال الدالة على أحكام Les verdicts: ويتميز هذا القول بكونه أن الحكم يصدر عن لجنة أو حكم أو قاض، وليس بالضرورة أن تكون الأحكام نهائية مثل إصدار حكم جنائي (بريء، مذنب ...).

2 ـ الأقوال الدالة على ممارساتLes exercitifs: وتحيل هذه الأقوال إلى ممارسات السلطات والحقوق أو التأثير مثل (الترقية، الأمر، القرار...).

3 ـ الأقوال الدالة على الوعود Les promissif: وتقوم على كوننا نعد ونتكفل بشيء ما. هذه الأقوال تلزمنا بالقيام بفعل لكنها تتضمن أيضا الإعلان أو التصريح بنوايا ليست وعودا مثل (أعد، اضمن، أراهن...).

4 ـ الأقوال الدالة على السلوكاتLes comportatifs: وتتعلق بالمواقف والسلوك الاجتماعي مثل (أعتذر أشكر، أهنئ...).

5 ـ الأقوال الدالة على العرضيات Les expositifs: وهي أقوال تسمح بالعرض مثل (أنكر، ألاحظ أسلم ب...).

5 ـ الشروط الضرورية للاشتغال الحسن :

لقد قسم أوستين هذه الشروط إلى ثلاث مجموعات ثنائية العناصر وهي على النحو التالي (24):

أ) ـ لا بد من وجود إجراء معترف به اصطلاحا .

ـ لا بد وفي جميع الحالات أن يكون الأشخاص والظروف الخاصة، العناصر المناسبة لكي نستند إلى هذا الإجراء.

ب) ـ هذا الإجراء يجب أن ينفذه جميع المشاركين بشكل سليم و بشكل تام.
ج) ـ يجب على الشخص الذي يشارك في الإجراء أن يكون حقا يحمل هذه الأفكار أو هذه الأحاسيس وأن يعتزم المشاركون تبني السلوك المترتب عن ذلك.

ـ زيادة على هذا، يجب أن ينحوا هذا النحو فيما بعد.

أي أن الاشتغال الحسن للفعل الكلامي يجب أن يستند إلى هذه شروط مجتمعة، وكل غائب عنها يؤدي بالضرورة إلى خروج الملفوظ عن هدفه المقصود، فيسمى" الإخلال بالقواعد الأربعة الأولى إخفاقا وهذا على الأقوال الحاصلة حينما لا ينجز الفعل، فنتحدث عن فعلنا وكأنه فعل مزعوم أو ربما محاولة. بينما الإخلال بالقاعدتين الأخيرتين يطلق عليه اسم استغلال، وهي إخفاقات تحدث عندما ينجز الفعل، فنتحدث عن فعلنا على أنه ذو الحظ السيئ كفعل لغوي صرف أو فارغ، وننظر إليه بأنه غير منجز أو غير مستهلك بدلا من لاغ أو باطل أو دون أثر"(25).

وبيّن لنا أوستين هذه الإخفاقات على نحو الجدول التالي (26):

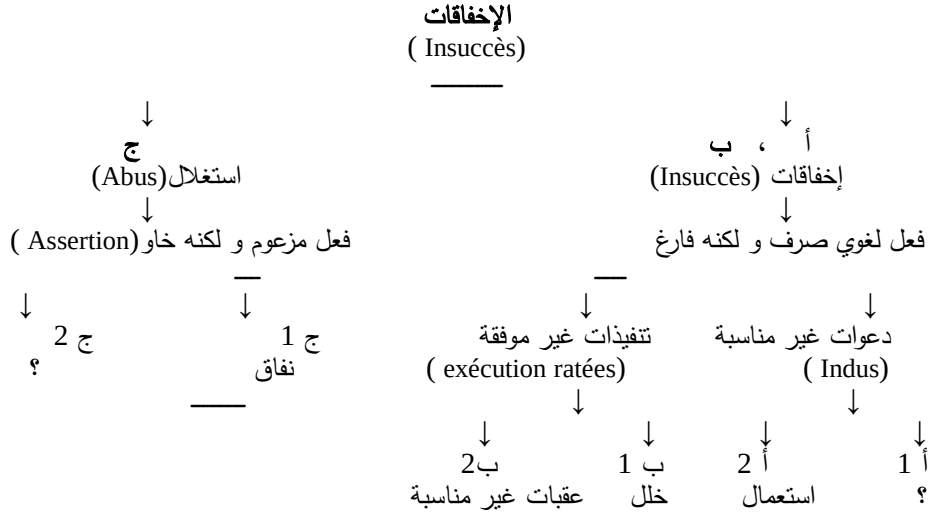

الإخفاقات المشار إليها بعلامة الاستفهام (؟) لم يحدد أوستين تسمياتها.

ويعود أوستين بالأمثلة التالية إلى الشروط الضرورية للاشتغال الحسن لتوضيح العنصر (ج 1)(27):

مثال 1 : حول الأحاسيس Les sentiments:

القول(أهنئك) كلمة يتلفظ بها في حين أن ذلك لا يسرني قط بل قد يزعجني. فالظروف مناسبة والفعل قد تم فعلا فهو ليس باطلا ولا لاغيا ولكنه في الواقع مخادع.

مثال 2 :حول الأفكار Les idées:

القول (أنصحك ب ...) في حين لا أتصور بأن الأمر هو ما يليق بك حقا.

أصرح (بريء) فيما أنا مقتنع بأنه مذنب.

هذه الأفعال ليست باطلة ولا لاغية لكن هناك تواز بين هاهنا مع أحد عناصر الكذب مع إنتاج فعل كلامي هو من قبيل الزعم.

مثال 3 : حول المقاصد و النوايا.

(أعد ...) في حين لا أعرض أي التزام بالوعد.

(أراهن ...) في حين لا أنوي الدفع.

هنا تغيب المقاصد والنوايا المطلوبة، والأفعال سيئة الحظ (لم تنجز). إن الأقوال من حيث هي أفعال معرضة لعدد من أنواع النقائص إذ يحصل أن تنجز الأفعال تحت الضغط مثلا أو عرضا أو نتيجة هذا الخطأ أو ذاك أو دون أن تكون لدينا النية في القيام بها فتدرج هذه الإخفاقات في خانة "الظروف المخففة Les circonstances atténuantes.

6 ـ مقومات الخطاب:

إن للملفوظ الهادف إلى فعل كلامي ركائز لا تقتصر على الأحرف والكلمات فحسب لأن الصيغة الإنشائية ليست سوى آخر مقومات الخطاب العديدة وأحسنها حظا، كما يؤكد عليها أوستين الذي يحدد هذه المقومات التي يراها الأكثر بدائية للخطاب(28) :

1 ـ الصيغة (le mode): القول " أصمت " في صياغات مختلفة ينجز أفعالا مختلفة:

(أُصمت) وهو أمر.

(أُصمت، هذا ما سأفعل) وهو نصيحة.

(أُصمت إن شئت) وهو رخصة أو سماح.

(أُصمت إن تجرأت) وهو تحدي.

2 ـ نبرة الصوت والإيقاع والتشديد: وهذه السمات تتميز بها اللغة المنطوقة، ولا يمكن إعادة إنتاجها بسهولة في اللغة المكتوبة. مثل القول (سيهجم) الذي قد يكون تحذيرا أو سؤالا أو احتجاجا.

3 ـ الظروف والعبارات الظرفية : فالأفعال بدون شك يختلف بعضها عن بعض أساسا، رغم أنه يلتجأ في كثير من الأحيان إلى نفس إمكانيات الكلام والعبارات المتشابهة تقريبا، وهكذا يمكننا تليين قيمة (سأقوم) بإضافة (ربما) أو (بالتأكيد).

4 ـ أدوات الربط : وعلى صعيد أكثر دقة ربما، يظهر استعمال هذه الوسيلة الشفوية التي هي أداة الربط، وهكذا تمكننا أن نستعمل (غير أن) بإعطائها قيمة (أشدد على)، كما نستعمل (إذن) بإعطائها قيمة (أخلص إلى أن).

5 ـ الظواهر التي تصاحب القول : كالحركات التي ترافق الكلمات أو الأفعال الطقوسية (rituels) غير اللغوية أحيانا تنجز دون التفوه بكلمة.

6 ـ ظروف القول: إن ظروف القول ذات نجدة ثمينة. يمكننا القول (سأموت ذات يوم و سأترك لك ساعتي)، فإن سياق الكلمات بما فيها حالة المخاطب الصحية، يغير الكيفية التي نفهم بمقتضاها هذه الأقوال .

III ـ الفعل اللغوي و النص :

لقد تم توضيح أسس ومبادئ نظرية أفعال الكلام، وأدواتها الإجرائية اعتمادا على جمل بسيطة (أو ملفوظات) دقيقة ومحددة. لكن هل يمكن تطبيق النظرية على النصوص ؟ أو بالأحرى، هل يمكن أن تنسب إلى النص خاصية الفعل الكلامي ؟

1 ـ ركائز التحليل النصي وفق نظرية أفعال الكلام :

لقد تم الإجماع من طرف اللغويين أمثال: ساندج Sandig 1973، فيرارا Ferrara 1980، باش Pasch 1984 ريهباين Rehbein 1977، وسيرل 1980 وغيرهم على" أن النصوص يجب أن تحدّد بأنها أدوات للفعل الاتصالي وأنها أفعال مركبة تتألف من أفعال جزئية "(29)، وعلى هذا قام الاهتمام في البحث على النص وفق نظرية أفعال الكلام على مبدأين (30):

أ) ـ الكشف عن المبادئ التي يُربط على أساسها بين الأحداث الجزئية لتكون أبنية أفعال مركبة للنصوص، لأن أهداف الحدث بوصفها خواص جوهرية للأفعال يجب أن ترد في أبنية النص أيضا.

ب) ـ وصف صلة أبنية الفعل في النصوص بالأبنية اللغوية المطابقة لها. وحسب موتش فإنه يجب على كل فعل جزئي أن يستند بوضوح إلى خواص لغوية للنص، أي مصورة في جملة النص. وينطلق موتش للكشف عن الصلة المذكورة من وصف متصل لمفهوم الفعل الإنجازي، بوصفه وحدة الأساس للتكوين النصي أيضا.

" وتسري الخواص العامة للأحداث الإنجازية على كل أنماط الأفعال الإنجازية، مثل(الرجاء، الوعد، الأمر...) ويذكر لك نمط من أنماط الحدث بخلاف القيود العامة - أن يفهم السامع المنطوق وأن المتكلم يريد أن يصل إلى هدف ما وأن السامع مستعد وقادر على أن يحقق الهدف - قيودا تأسيسية يجب أن تتحقق إذا ما أريد نجاح فعل إنجازي. ويتبع ذلك بوجه خاص شروط لتحفيز المتكلم السامع وللسلامة وللموقف الاجتماعي وللربط المؤسسي في نمط من الأفعال الإنجازية"(31).

يقدم موتش القيود المؤسسية التالية لفعل الرجاء على سبيل المثال:

- يتمنى المتكلم أن يتمم السامع حدثا أو يتركه، أي أن المتكلم قد حفّز لسبب ما بصورة إيحائية.
- يفرض المتكلم أن طلبه من السامع معقول.
- يفرض المتكلم أنه بالإمكان تحفيز السامع بصورة إيجابية .

والأمر الحاسم للصلة بين أبنية الفعل في النصوص بالأبنية اللغوية المطابقة لها، هو افتراض بأنه يجب أن يكون ممكنا أساسا إعادة بناء القصد من نطق المتكلم تعبيرا لغويا.[1] وحاول "موتش" أن يتحقق من هذه الفرضية، فانطلق في ذلك من أن الصيغ النحوية للجملة تحدد أهدافا ممكنة لأفعال إنجازيه. وبخلاف صيغ الجملة تقوم ما يسمى بالصيغ الأدائية صراحة بوظيفة مؤشرات أساس، بمعنى مؤشرات معدلة للإنجاز، وأيضا أفعال الصيغة والظروف الكيفية، وأدوات الوجهة التي يستطيع المتكلم بها تحديد نمط الحدث في منطوق ما أمام السامع (32).

2 ـ تحليل أبنية الإنجاز :

يتحدد تعريف النص وفق فرضية أبنية الإنجاز على أنه " تتابع من أفعال لغوية أساسية بُني بصورة متدرجة تسمى أفعالا إنجازية"(33). ولهذا فإن الفعل الإنجازي المفرد وحدة أساسية لتكوين النص وتكوين فعله الإنجازي النهائي. فالقول(بني بصورة متدرجة) معناه أنه تقوم بين هذه الأفعال الإنجازية علاقات دنيا وعليا متنوعة، بحيث يهيمن فعل إنجازي محدد في العادة على الأفعال الأخرى، وهذا الفعل المهيمن هو الذي يعين الهدف الكلي للنص بينما تستعمل الأفعال الإنجازية الأخرى في دعم هذا المهيمن أي في تأكيد نجاحه وتسمى أوجه إنجاز مساعدة (34).

أي أن الفعل الإنجازي للنص كلا متكاملا، يتحقق وفق العلاقات والأنسجة التي تربط أفعاله الإنجازية الجزئية المتسلسلة والمترابطة فيما بينها، التي تنتهي إلى بروز الفعل الرئيس الذي بُني عليه النص حين إبداعه.

إذا تأملنا الملفوظ التالي:

أُصبتَ بزكام حاد، اذهب من فضلك إلى الطبيب، فله عيادة قريبة.

التقرير الرّجاء التقرير

هنا يظهر الفعل الإنجازي المهيمن على أنه الرجاء للذهاب إلى الطبيب، بينما الأفعال المساعدة هما فعلي التقرير اللذان يحملهما الملفوظان: أصبت بزكام، فله عيادة قريبة.

إن تحليل أبنية الإنجاز ينصب في تجزئة الأفعال الإنجازية والكشف عن العلاقات بينها، فثمة علاقات أخرى بين بنية الإنجاز وعناصر النص الأساسية تتمثل فيما يلي (35):

أ) ـ العلاقة بين بنية الإنجاز والبنية النحوية للنص:

ينطلق تحليل بنية الإنجاز من شرط أن لأنماط أفعال إنجازيه مطابقة مباشرة في النحو، أي أنه توجد مقولات نحوية لها علاقة مباشرة بأنماط أفعال إنجازيه أي ما تسمى صيغ أو أشكال الجملة، مثل الجملة الخبرية والاستفهامية، وجملة الأمر، وجملة الطلب...لكن لا يمكن أن يلحق دور إنجازي بجمل إلا عند نظرة منعزلة، فإذا كانت مدمجة في الكل (النص) فإنها لا تمتلك في الغالب أية خاصية مباشرة للفعل، إنها تقوم بوظائف محددة داخل النص، فخاصية الفعل هنا تعزى للنص ككل، وتسمى وظيفة النص.

ب) ـ العلاقة بين بنية الإنجاز والبنية الموضوعية :

يحاول تحليل بنية الإنجاز أن يعرض بنية النص بوصفها بنية للفعل في صورة تدرجات لأنماط الفعل الكلامي، فبنية النص هي أساسا بنية موضوعية.

ج) ـ العلاقة بين بنية الإنجاز والهدف الكلي أو الوظيفة الكلية للنص:

يعد تحليل بنية الإنجاز أساسا للرأي القائل بأن الفعل الإنجازي المهيمن يشير إلى الهدف العام للنص، أي إلى وظيفته الكلية التواصلية. فهناك معايير متباينة ذات طبيعة خاصة بداخل النص وخارجه أيضا (سياقية) أساسية للوظيفة الكلية المهيمنة لنص ما. ويطابق هذا المفهوم لوظيفة النص إلى حد بعيد المفهوم الخاص بنظرية الفعل الكلامي للفعل الإنجازي، إذ تربط فيه الجانب المقصدي بالجانب العرفي لأفعال لغوية بعضها ببعض على نحو مماثل، و كما يقرر الفعل الإنجازي خاصية الفعل لمنطوق ما، فإن وظيفة النص تحدد كيفية التواصل في النص أي نوع الاحتكاك التواصلي الذي عبر عنه الباث تجاه المتلقي بالنص.

3 ـ مفهوم وظيفة النص :

إن مفهوم وظيفة النص في إطار نظرية الفعل الكلامي يطابق إلى حد بعيد مفهوم الفعل الإنجازي في الجملة البسيطة، " وكما يقرر الفعل الإنجازي خاصية الفعل لمنطوق ما فإن وظيفة النص تحدد كيفية التواصل في النص أي نوع الاحتكاك التواصلي الذي عبر عنه الباث تجاه المتلقي بالنص. فيجب النظر إلى النص من حيث ما ينبغي للمتلقي أن يفهم من هذا النص إجمالا كقول واحد أو جملة واحدة. إن وظيفة النص عند جروسيه E.U.Grobe تماثل القصد الحقيقي أو

المضمر لهذا النص. ويرى كلاوس برينكرK.Brinker أن" الفضل الوحيد في تحديد وظيفة النص هو ما يريد الباث إفهامه بأن يستند إلى قواعد (أعراف) معينة ذات طبيعة لغوية وتواصلية. فقد يصل هذا القصد الحقيقي إلى المتلقي وقد لا يصل لذلك يقول: " وتنفصل وظيفة النص فضلا عن ذلك عن التأثير الذي يمارسه النص على المتلقي (36).

أ ـ مؤشرات وظيفة النص :

يرى برينكر أنه كما توجد للفعل الإنجازي مؤشرات فإن ثمة مؤشرات لوظيفة النص وأن الوظيفة النصية يشار إليها بوسائل داخل النص (لغوية أساسا) ووسائل خارج النص(سياقية)، ويحدد برينكر ثلاثة أنماط أساسية لهذه المؤشرات (37):

ـ صيغ وأبنية لغوية يعبر بها الباث بشكل صريح عن نوع الاحتكاك التواصلي المقصود حيال المتلقي.

فإذا أشّر إلى وظيفة النص على هذا النحو فإننا نتحدث عن تأشير واضح إلى وظيفة النص.

ـ صيغ وأبنية لغوية يعبر بها الباث ـ بشكل صريح أو ضمني ـ عن موقفه من مضمون النص

وبخاصة من موضوع النص، فهو يمكن أن يعبر عن صدق مضمون النص أو احتمالاته كالأفعال (يعرف، يظن يشك...)، أن يبدي درجة يقين معرفته مثل (حقا، بالتأكيد، الظاهر أن، من المحتمل، مطلقا...)، ويمكن أن يشير إلى تقويمه مثل (يستحسن ،...) أو إلى درجة اهتمامه مثل (يتمنى، يقصد، يرغب في،...)، أو إلى موقفه النفسي (يحزن، يسعد...) تجاه مضمون النص أو موضوعه.

ـ **المؤشرات السياقية:** مثل الإطار الموقفي وبخاصة المؤسسي للنص أو المجال الاجتماعي للفعل الذي يلحق به النص والمعرفة المفترضة عن مضمون النص... ويعزى إلى السياق أهمية جوهرية في التفسير التواصلي الوظيفي للنصوص ... وان إمكانية تنافس المؤشرات خاصة تبين أن الكشف عن وظيفة النص لا يمكن أن يحدث على أساس معايير لغوية ... بل إن التحليل السياقي يقدم في الأساس الكلمة الفصل.

ب ـ وظائف النص :

يحدد كلاوس برينكر خمسة وظائف نصية أساسية، وهذا في إطار الجانب التواصلي ـ الوظيفي، وهي على النحو التالي(38):

1-ـ وظيفة الإبلاغ : حيث يُفهم الباث المتلقي أنه يوفر له معرفة، وأنه يريد أن يبلغه شيئا ما.

2-ـ وظيفة الاستشارة : حيث يُفهم الباث المتلقي أنه يحثه على أن يتخذ موقفا محددا تجاه شيء ما .

كالتأثير في الرأي، أو التأثير في السلوك. ويمكن أن توضح الوظيفة الاستشارية بالعبارة المفسرة التالية :" أنا الباث أطلب منك (المتلقي) أن تتخذ موقفا (رأيا) س، أن تنجز الفعل س ".

3- وظيفة الالتزام : حيث يُفهم الباث المتلقي أنه ملزم بإنجاز فعل معين. أما أنواع النص التي لها وظيفة التزام فهي العقد و الاتفاقيات، وشهادة الضمان، والعهد... والعبارة الموضحة لهذه الوظيفة فهي: (أنا الباث ملزم تجاه المتلقي بعمل الفعل س).

4- وظيفة الاتصال: حيث يُفهم الباث المتلقي أن الأمر يتعلق بالنسبة له بالعلاقة الشخصية وبخاصة بإقامة اتصال شخصي والحفاظ عليه. ويؤشر إلى الوظيفة الخاصة بالاتصال من منظور مباشر من خلال صياغات أدائية صراحة مع أفعال أو مركبات فعلية مثل : شكر، رجاء الاعتذار ، تمني التوفيق. والوظيفة الاتصالية مقرونة في الغالب بتلك المواقف الموضوعية مثل : حزن، أسف، سرور، سعادة.

5- وظيفة الإعلان: يُفهم الباث المتلقي أن النص يوجد واقعا جديدا وأن المنطوق الناجح للنص يعني إدخال عامل معين. وعبارة هذه الوظيفة (أنا الباث أجعل بذلك "س" ينظر إليه على أنه "ص"). ومن أمثلة هذه النصوص: التعيين، الوصية، التوكيل، الشهادة، ويتعلق الأمر عموما بنصوص مرتبطة بمؤسسات اجتماعية معينة.

خـاتـمـة:

إن حقل التداولية، حيث الأداء الفعلي للغة واكتمال جوانب الدورة التخاطبية مع مراعاة الظروف الخارجية لانجاز الخطاب واستقباله، قد أخرج اللغة

من إطارها الوضعي إلى إطار الممارسة العملية قصد انجاز مهام خارجة عن النطاق اللفظي. وإذا كانت هذه الوظيفة الجديدة للغة قد استندت في الأول إلى جمل بسيطة وأقوال إنشائية فإنه وبالإمكان التأسيس لأدوات إجرائية تعمل على تحليل النص الأدبي وفق هذه النظرية- نظرية أفعال الكلام- لتحديد نوع الاحتكاك التواصلي الذي يعبر عنه الكاتب تجاه المتلقي، إذ يجب النظر إلى النص من حيث ما ينبغي أن يفهم منه إجمالا كقول واحد أو جملة واحدة، وما ينبغي أن ينجز به فعلا.

الهوامش:

-Nicole Delbecque , Linguistique cognitive, préface de Réné Dirven -1
et Marjolign vespoor, éd Deboeck Ducolot Paris – 2002, p 190.

2-المرجع نفسه، ص 191.

3- مسعود صحراوي، الأفعال الكلامية عند الأصوليين، مجلة اللغة العربية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، العدد 10، الجزائر 2004 ، ص186.

4-فولفجانج هانيه مان و ديتر فيهجر، مدخل إلى علم لغة النص، ت/ سعيد حسن بحيري، القاهرة 2005، ص 54.

5-كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، ت / م. ح . بحيري، م . المختار، القاهرة 2005، ص 109.

6- المرجع نفسه، ص 110.

7-أوستين ، جون لانشو، القول من حيث هو فعل، ت / محمد يحياتن، عالم الكتب للنشر، الجزائر، 2006، ص 5.

8- كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، ص 110.

9-مسعود صحراوي، الأفعال الكلامية عند الأصوليين، ص 185.

10-كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، ص 110.
11-المرجع نفسه، ص .111
12-فولفجانج هانيه مان و ديتر فيهجر، مدخل إلى علم لغة النص، ص 54.
13-المرجع نفسه، ص 114.
14- المرجع نفسه، ص 116.
15-ينظر:المرجع نفسه، ص 117.
16- أوستين، القول من حيث هو فعل، ص 9-10.

17- المرجع نفسه، ص 13.

18-المرجع نفسه، ص 11.

19-المرجع نفسه، ص 15.

20- المرجع نفسه، ص 70.
21- الرجع نفسه، ص 72- 73.
22- المرجع نفسه، ص 123 124.
23-المرجع نفسه، ص 20.
24-ينظر:المرجع نفسه، ص 20.
25-المرجع نفسه، ص 21.
26- ينظر: المرجع نفسه، ص 20 - 21.
27- المرجع نفسه، ص 69.
28- فولفجهنج هانيه مان، مدخل إلى علم لغة النص، ص 56.
29-المرجع نفسه، ص 56.
30-المرجع نفسه، ص 57.
31-كلاوس برينيكر، التحليل اللغوي للنص، ص118.
32- المرجع نفسه، ص 118.
33-المرجع نفسه، ص 120.
34- المرجع نفسه، ص 121.
35- المرجع نفسه، ص 122 - 123.
36-ينظر المرجع نفسه، ص 127 – 128.
37-ينظر، المرجع نفسه، ص 137 - 158.

قائمة المراجع:

1-مسعود صحراوي، الأفعال الكلامية عند الأصوليين، مجلة اللغة العربية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، العدد 10، الجزائر 2004.

2-فولفجانج هانيه مان و ديتر فيهجر، مدخل إلى علم لغة النص، ت/ سعيد حسن بحيري، القاهرة 2005.

3-كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، ت / م. ح . بحيري، م . المختار، القاهرة 2005.4- أوستين ، جون لانشو، القول من حيث هو فعل، ت / محمد يحياتن، عالم الكتب للنشر، الجزائر 2006

5-Nicole Delbecque , Linguistique cognitive, préface de Réné Dirven et Marjolign vespoor, éd Deboeck Ducolot Paris – 2002 .